

الفصل الخامس

الأدوات والآليات

ما هي الأدوات والآليات التي سيستخدمها صاحب منهج الطرح الإسلامي لكي يتمكن من استنباط القواعد والأصول التي تبني عليها وتؤسس الطروحات والآراء والرؤى ، وتتميز تلك الأدوات والآليات بالخصوصية حيث تتواءم مع طبيعة المنهج ، وطبيعة المصادر والمرجعيات ، وطبيعة المتغيرات ، والمستجدات وطبيعة الطروحات والآراء والرؤى .

ويمثل المفكر الباحث أول أدوات وآليات المنهج ، والمفكر الباحث هو ذلك العالم المسلم الذي تتمثل مهمته في دراسة المتغيرات والمستجدات ، ثم البحث في المرجعيات المصادر عن الأصول والقواعد التي تضاهيها ، ثم يقوم بتكييف ومضاهاة المتغيرات مع الثوابت وإخراج الطرح ، ثم دمجها في الحياة الاجتماعية ومراقبة تفاعله في تلك الحياة ، ثم تخوله بالتقويم .

كذلك تمثل البيئة أو الوسط آلية أو أداة مهمة من أدوات أو آليات منهج الطرح الإسلامي ، وهذه الآلية قد تكون مجتمعاً مسلماً وقد تكون أقلية مسلمة يطبق الشرع الإسلامي وعلى علم بالإسلام شعيرة وشريعة ، وهذه الآلية تتمثل أهميتها في كونها تفرز المتغيرات والمستجدات وتستقبل الطرح وتتفاعل معه وتستجيب له وتحتويه وتستوعبه وتفرز النتائج .

والمنهاج الإسلامي كذلك يمثل إحدى أدوات منهج الطرح الإسلامي ، وللمنهاج دوره العام في المجتمع ، فهو يطبق شرع الله ويحقق مصالح الناس ويقضي حوائجهم ويعمر الأرض وينمي مواردها ويدافع عن الإسلام والمسلمين في الداخل والخارج ، وله كذلك دوره كأداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي ، فهو يهيئ البيئة بتطبيق شرع الله ، وهو يساعد على تطبيق الطرح ، ويساعد العالم على القيام بمهامه فيما يتعلق بتطبيق منهج الطرح الإسلامي .

أما آخر أدوات وآليات منهج الطرح الإسلامي فتتمثل في أدوات التحليل ، وهي أساليب ووسائل البحث في مصادر المنهج وهي المرجعيات الإسلامية : القرآن الكريم والسنة المطهرة ونماذج دولة الرسول الكريم والخلفاء الراشدين ولكل مصدر أو مرجعية من هذه المرجعيات أدوات للبحث فيها وتحليل وتفسير نصوصها وفقه دلالاتها .

في هذا الفصل نتناول أدوات وآليات منهج البحث والطرح الإسلامي ، وذلك من خلال المباحث الأربعة التالية :

المبحث الأول : المفكر الباحث .

المبحث الثاني : الوسط - البيئة .

المبحث الثالث : المنهاج الإسلامي (النظام السياسي) .

المبحث الرابع : أدوات البحث والتحليل .

المبحث الأول

المفكر الباحث

المفكر الباحث يمثل أول وأهم آليات وأدوات منهج الطرح الإسلامي ، فهو الفاعل الرئيسي الذي على عاتقه تقع كافة تبعات المنهج ، وتمثل تلك التبعات أو المهام في الآتي :

أولاً : فقه المرجعيات :

لعل أول ما ينبغي على المفكر الباحث الذي يعمل وفق منهج الطرح الإسلامي أن يفعله ويتمكن منه هو فقه المرجعيات وهي مصادر المنهج ، وفقه المرجعيات يعني القدرة الفائقة على دراسة المرجعيات واستيعاب دقائقها وتفصيلها ، وينطبق ذلك على كل من : القرآن الكريم والسنة المطهرة ونماذج دولة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .

ولكل مرجعية من المرجعيات المذكورة وسائل وأدوات فهمها واستيعاب دقائقها والتبحر فيها ، فمثلاً بالنسبة إلى القرآن الكريم ينبغي البحث عن التفاسير الأحدث والتي تواكب المتغيرات والمستجدات ، كما يجب التركيز على أسباب نزول الآيات ، والتركيز كذلك على الوقائع الخاصة التي تحمل أحكاماً عامة ، وغير ذلك من أدوات خاصة بدراسة القرآن الكريم .

وبالنسبة إلى السنة المطهرة ينبغي اصطفاء الصحاح التي تحمل الأحاديث الصحيحة ويتم توزيعها حسب الموضوع ، ويقترن بالصحاح كذلك أهم وأصح وأشهر الكتب التي وردت في السيرة النبوية فهي تدعم صحاح الحديث .

وبالنسبة إلى نموذج دولة الرسول الكريم ودولة الخلفاء الراشدين فينبغي الإطلاع على المصادر التاريخية ذات الثقة والدقة في التاريخ الإسلامي ، ومصادر حياة الصحابة وبالذات الخلفاء الراشدين .

ثانياً : علم المتغيرات والمستجدات :

بعد أن يتفقه المفكر الباحث في المرجعيات الشرعية التي يعتمد عليها المنهج كمصادر مطلقة لاستنباط الأصول والقواعد عليه أن يعلم بدقة وعمق كل ما يحيط بالمتغيرات والمستجدات ويدرسها دراسة الباحث المتخصص ، فيُلمّ بظروفها ويفهم واقعها ويستوعب علاقاتها بالحياة الاجتماعية ويحلل تفاعلاتها ، وعندئذ يكون المفكر الباحث قد جمع بين فقه المرجعيات وعلم المتغيرات والمستجدات ، والمتغيرات والمستجدات في جلها ظواهر حياتية كونية تحتاج إلى البحث والتنقيب ، وقد يتطلب ذلك الاستعانة بمناهج الغير وأدواته ووسائله ، والوقوف على آخر ما توصل إليه بخصوص تلك الظواهر وهذا أمر محبذ ومطلوب ، حتى يُقدّر للمفكر الباحث الفهم الدقيق والاستيعاب العميق للمتغيرات والمستجدات ، ومعنى ذلك أن كل السبل متاحة ومكفولة للمفكر الباحث لدراسة المتغيرات والمستجدات .

وقد يثار في هذا السياق سؤال مفاده : بأي من الأمرين يبدأ المفكر الباحث ؟ بفقه المرجعيات أم بعلم المتغيرات والمستجدات ؟ قد يحدث أن يبدأ المفكر الباحث بدراسة أصولية منهجية يمكنه من خلالها فقه المرجعيات ، ثم يردف ذلك بالتفرغ لدراسة المتغيرات والمستجدات ، ثم يشرع في استكمال عملية صياغة الطروحات ، وقد يحدث العكس ، فيبدأ المفكر الباحث بدراسة متخصصة مستفيضة للعلوم والظواهر الحياتية ، ثم يردف ذلك بالتفرغ والعكوف على فقه المرجعيات ، ثم يبدأ في مواصلة عملية صياغة

الطرح والرأي ، وما يستخلص مما تقدم هو أن ترتيب عمليتي فقه المرجعيات وعلم المتغيرات والمستجدات ليس بالأمر الحاسم بالنسبة للمفكر الباحث ، ولا يؤثر جوهرياً في مسار المنهج أو في دقة وموضوعية الطروحات .

ثالثاً : البحث في المرجعيات (المصادر) واستنباط الأصول والقواعد :

بعد أن يتهيأ المفكر الباحث علمياً وفكرياً بفقه المرجعيات وعلم المتغيرات والمستجدات ، يمكنه الانتقال إلى المرحلة التالية حيث يعتمد إلى البحث في المرجعيات (المصادر) عما يضاها المتغيرات والمستجدات ويوائمها من الأصول والقواعد التي يستنبطها استنباطاً بحذق ومهارة ، والاستنباط هو أرقى العمليات البحثية والفكرية والعقلية وأهمها ، فهي الأساس الذي سيبني عليه الطرح فيما بعد والاستنباط يدخل فيه الاجتهاد مقترناً به وداعماً له ، ولا جرم فالمفكر الباحث هو مجتهد من الطراز الأول ، يبذل اجتهاده جلياً في كافة مراحل تطبيقه لمنهج الطرح الإسلامي التي تتدرج في : فقه المرجعيات ثم في علم المتغيرات والمستجدات ، ثم في البحث في المرجعيات واستنباط الأصول والقواعد ، ثم في صياغة الطرح ، ثم في دمجها في الحياة الاجتماعية ، وأخيراً في مراقبة الطرح وتخوله بالتقويم .

رابعاً : صياغة الطرح :

بعد أن ينهي المفكر الباحث عملية البحث في المرجعيات (المصادر) باستنباط الأصول والقواعد يعتمد إلى صياغة الطرح ، وصياغة الطرح عملية علمية منهجية تتأسس على قواعد وخطوات فكرية منطقية تنتهي برؤية أو رأي أو نظرية متماسكة ومرتبطة في شكل بناء متماسك يجمع بين قوة الأصول والقواعد وتماسكها ومثالياتها وسمو غاياتها ورفي مقاصدها

وبين رجاحة العقل وحصافة الفكر ورسالة الفكرة وقوة الحجة وبروع المنطق وقدرته على الإقناع والنفاز إلى النهى والألباب .

وهنا يلفت الانتباه بعض الآراء التي ترى بأن الإسلام لا يعرف النظرية ، وذلك تحت دعوى أن النظرية هي صياغة بحثية يقوم بها العقل البشري في شكل بناء فكري علمي منطقي ينتهي بقوانين ، أما الطرح الإسلامي فهو بمثابة أصول وقواعد لا يفعل إزاءها المفكر الباحث إلا الكشف عنها واستنباطها ، وهذه الدعوة لا تحمل الحقيقة كاملة ، فالإسلام يعرف النظرية ولكن بخصوصية وتفرد يتواءم مع طبيعة الإسلام الذي يقدم الأصول والقواعد في المرجعيات (المصادر) التي يقوم المفكر الباحث بالبحث عنها واكتشافها ثم استنباطها ثم صياغة الطرح في شكل بناء فكري يبدو في نظرية متكاملة تجمع بين الأصول والقواعد وبين المتغيرات والمستجدات ، وهذا الجمع هو عملية تأصيل وتنظير غاية في الدقة والإحكام ، ولو قلنا بأن الطرح الإسلامي يقتصر على مرحلة البحث والكشف عن الأصول والقواعد واستنباطها ، لكان ذلك غير كاف للتعبير عن وجهة نظر الإسلام في المتغيرات والمستجدات ، فتلك الواجهة لا يمكن أن تتضح وتعبير عن قدرة الإسلام على الاحتواء والاستيعاب إلا إذا خرجت في شكل صياغة محكمة تمثل نظرية في حد ذاتها ، وعندئذ يكتمل الطرح ويؤدي دوره المنوط به في مواجهة متغيرات الزمن ومستجدات الأيام ، ومن ثم يمكن التأكيد على أن الإسلام يعرف النظرية في طروحاته وصياغاته البديعة .

خامساً : دمج الطرح في الحياة الاجتماعية :

يواصل المفكر الباحث جهوده واجتهاداته بعد صياغة الطرح في شكل نظرية مؤصلة مرجعياً وموثقة فكرياً ، حيث يسدي تلك الطروحات إلى الحياة الاجتماعية ، ويدمجها في

تفاعلاتها ويحيكها في نسيجها ، لينظر مدى قابلية الطرح للاندماج والتفاعل والتلاقي والعناق مع واقع الحياة والذوبان في فيضه المتدفق ، ومدى قبول تلك الحياة للطرح واستيعابها له ، فإما أن يتم التلاقي والعناق والذوبان فيؤتي الطرح أكله ولا يظلم منه شيئاً ، وإما أن يحدث اغتراب وتنافر ، وهنا لابد من تدخل المفكر الباحث مرة أخرى ، الذي كان يرقب عن كثب لكي يتولى الأمر ويواصل البحث في واقع العلاقة بين الطرح والحياة الاجتماعية وينقب عن أسباب الاغتراب والتنافر ، ويظل كذلك إلى أن يصل إلى الوضعية المأمولة لتلك العلاقة وهي العناق والذوبان .

سادساً : مراقبة الطرح وتخوله بالتقويم :

بنهاية الخطوة السابقة يصبح الطرح جزءاً من الحياة وخيطاً في نسيجها ، وهنا يوضع على محك التجربة ، ويظل العالم المسلم على اتصال وثيق بطروحاته ، يرقبها ويحلل علاقاتها بالواقع ، والطرح في هذه الحالة قد يصادف من المتغيرات والمستجدات ما يؤثر على علاقاته بالواقع ، فيعوق تفاعلاته ويظهره بشكل قاصر ، وفي هذه اللحظة يتحتم على العالم المسلم التدخل السريع والمباشر من أجل إصلاح أية إختلالات وتوضيح الغموض أو التداخلات التي يمكن أن تصيب الطرح في علاقاته مع مجريات الحياة وتطوراتها وتفاعلاتها ، والعالم المسلم رقيب حريص على طروحاته لا يغفل عنها ، لأن الزمن والأيام بدتغيراتها ومستجداتها قد تؤثر عليها ، وتقويم الطرح لا يعني أنه مختل أو منقوص ولكن هذه طبائع الأمور ، ولابد من تنقيته أول بأول من شوائب المتغيرات إرسابات المستجدات.

المبحث الثاني

الوسط - البيئة

الوسط أو البيئة يمثل الأداة الثانية من أدوات منهج الطرح الإسلامي ، وهذه الأداة تعتبر ذات خصوصية لأنها أداة اجتماعية جماعية ، وليست أداة ذات طبيعة ميكانيكية مثل سواها ، ويمكن معالجة الوسط أو البيئة كأداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي من خلال الآتي :

أولاً : المقصود بالوسط - البيئة :

الوسط أو البيئة هي ذلك الإطار العام الذي يحوي بداخله مجموعة من المتغيرات المستقلة والتابعة التي تتفاعل بشكل مستديم لتضفي على البيئة سمات الدينامية والحيوية والنشاط ، وتتسم كل بيئة بخصائص تميزها عن غيرها ، ولا تشمل البيئة بالضرورة المجتمع بكامله ، فقد تتمثل البيئة في أقلية داخل المجتمع ولكنها تحوي من التفاعلات والسمات الخاصة ما يجعلها إطاراً عاماً داخل المجتمع .

وتشتمل البيئة دوماً على متغيرات ومستجدات تحدث بفعل عوامل ذاتية تلقائية أو بفعل عوامل مفروضة من الخارج أو من الداخل ، وتفرز هذه المتغيرات والمستجدات إفرارات ذات خصائص وقواسم مشتركة قد تتجه للخارج وقد تحتفظ بها البيئة في داخلها ، وتنقسم البيئات من حيث علاقتها بالخارج إلى أشكال عديدة : فهناك البيئة المُرسلة ، وهناك البيئة المُستقبلة ، وهناك البيئة المتحاورَة^١.

^١ للتفصيل يمكن الرجوع إلى المجلد الثالث : الإدارة العامة والمحلية في الإسلام ، الجزء الأول : الإدارة العامة في الإسلام ، الفصل الثاني.

ثانياً : خصوصية الوسط - البيئة أداة منهج الطرح الإسلامي :

للبيئة التي تمثل أداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي خصوصيتها ، وتمثل هذه الخصوصية في الآتي :

❖ مجتمع مسلم : أول أشكال الخصوصية هو أن يكون المجتمع مسلماً ، أي أن أغلبيته تنتمي إلى عقيدة الإسلام ، والانتماء إلى عقيدة الإسلام له أشكال عديدة سوف نستعرضها تباعاً ، إلا أن أهم تلك الأشكال يتمثل في اعتناق الإسلام .

❖ أقلية مسلمة : ثاني أشكال الخصوصية هو أن يكون الوسط - البيئة أقلية وليست أغلبية ، وهذه الأقلية تدين بالإسلام ، وتمثل في ذاتها إطاراً عاماً له سماته الثقافية والحضارية وعاداته وتقاليده ، وبالرغم من أن هذه الأقلية توجد في مجتمع أشمل وأعم إلا أنها تمثل في ذاتها بيئة أو وسطاً يجسد إحدى أدوات منهج الطرح الإسلامي ، فالأقلية المسلمة في هذه الحالة تمثل بيئة مع أنها توجد في مجتمع غير مسلم ، وقد تتأثر ببعض خصائص ذلك المجتمع ولكنها لا تتصل بالمسائل المعتقدية .

❖ البيئة تطبق الشرع الإسلامي : ثالث أشكال الخصوصية في البيئة التي تمثل أداة لمنهج الطرح الإسلامي هو أن تلك البيئة تطبق الشرع الإسلامي أحكاماً وحدوداً من خلال جهات لها طابع المؤسسية والرسمية كالمحاكم ووزارات الأوقاف والشئون الإسلامية .

❖ أفراد البيئة على علم بالإسلام شعيرة وشريعة : هذا الشكل يختلف عن الذي سبقه ، فالشكل السابق يرتبط بالجهات الرسمية التي تتولى تطبيق الشرع ، أما هذا الشكل فيتعلق بأفراد البيئة ، حيث ينبغي أن يكونوا على علم بالإسلام كشعيرة ونسك وكتشريعات ونظم اجتماعية ، وهذا العلم ضروري للتعامل مع البيئة كأداة من أدوات

منهج الطرح الإسلامي ، ومع الأفراد كعناصر لتلك البيئة ، ومعنيين ومخاطبين بالطروحات التي تمثل مخرجات المنهج .

❖ ثانوية روابط الاندماج والانتماءات غير المعتقديّة : كذلك من أشكال الخصوصية التي تنسج بها البيئة أو الوسط هو أنها تنجذب إلى بعضها وتتماسك جزئياتها عبر رابطة أساسية هي رابطة الأخوة الإسلامية ، وما غير هذه الرابطة لا يعتد به ، ولا يعول عليه لأنه أضعف من رابطة الانتماء إلى عقيدة التوحيد .

ثالثاً : الوسط – البيئة موضع ومحك تطبيق الطروحات :

ثم كيف يمكن اعتبار البيئة أداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي ؟ تؤدي البيئة أو الوسط جملة من المهام لمنهج الطرح الإسلامي تجعل منها أداة من أدواته ، وتتمثل هذه المهام في الآتي :

❖ إفراس المتغيرات وإخراج المستجدات والتطورات : تبدأ مهام البيئة من حيث كونها الإطار العام الذي يحتوي المتغيرات ويحرك المستجدات ويحفز التطورات .

❖ استقبال الطرح : إذا كانت البيئة هي منبع المتغيرات والمستجدات والتطورات التي تتطلب التطوير والاحتواء والاستيعاب ، فإنها في ذات الوقت مسرح استقبال الطروحات التي أخرجها منهج الطرح ، حيث أن تلك الطروحات قد أعدت خصيصاً لتلك البيئة .

❖ التفاعل مع الطروحات والاستجابة لها : بعد أن تقوم البيئة باستقبال الطرح تبدأ في التفاعل معه والاستجابة له ، ويصل التفاعل والاستجابة إلى مداها لتتحول إلى تلاقي وعناق وذويان .

❖ الاحتواء والاستيعاب : بعد تفاعل البيئة مع الطرح واستجابتها له تقوم باحتوائه واستيعابه ، وهنا يباشر دوره في احتواء المتغيرات واستيعاب المستجدات .

❖ إفران النتائج : آخر المهام التي تؤديها البيئة تتمثل في إفران النتائج التي توضح مدى نجاح الطروحات في تحقيق أهدافها . فنتائج الطرح هي مقياس الحكم على نجاحه أو إخفاقه . وكل ما تقدم يفيد أن البيئة هي بالنسبة للمنهج وطروحاته بمثابة الحرث الذي يستقبل البذور فيمتنبتها ثم يربها حتى تؤتي أكلها .

المبحث الثالث

المنهاج الإسلامي [النظام السياسي]

نتنقل إلى تناول الآلية الثالثة من آليات منهج الطرح الإسلامي ، وهي المتعلقة بالمنهاج الإسلامي ، والمنهاج يعد آلية نظامية تنظيمية ، أما البيئة فهي آلية اجتماعية ، في حين كان المفكر الباحث هو الآلية العقلية الفكرية ، ما هو المنهاج الإسلامي ؟ وما هو دوره بشكل عام ؟ ما هو دوره كأداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي ؟ فيما يلي التفصيل :

أولاً : ماهية المنهاج الإسلامي¹ :

المنهاج الإسلامي هو ذلك الكيان المتكامل الذي يحوى بداخله جملة من المفردات التي تعمل سوياً في تناغم وتفاعل من خلال علاقات عضوية متبادلة تؤدي إلى تماسك المنهاج وظهوره في شكل قوي متماسك ذي خصائص وسمات خاصة ، والمنهاج بهذا الشكل هو أهم أداة نظامية في المجتمع الإسلامي حيث يتولى مهمة السياسة والحكم في الإسلام عن طريق أصول وقواعد شرعية تحدد له وظائفه وكيفية أدائه لتلك الوظائف ، ومسارات حركته وأهدافه وغاياته ، وعلاقته بالدولة الإسلامية وبالمجتمع ، وعليه فهو الذي يسوس المسلمين ويحكمهم بشرع الله .

إضافة إلى ما تقدم يعتبر المنهاج هو أداة تطبيق الشريعة ، والذي ينقلها إلى أرض الواقع ، ويجعل منها الضابط لسلوكات وتفاعلات أفراد المجتمع بشقيها الروحي والمادي ، والمنهاج وفق ما تقدم هو قرين الشريعة ، ويعد إحدى لزمياتها ، وقد تعجز عن تحقيق غاياتها إذا لم يكن المنهاج لها قريناً .

¹ للتفصيل يمكن الرجوع إلى المجلد الأول : السلسلة والحكم في الإسلام ، الجزء الثاني : نحو صياغة نظرية سياسية إسلامية معاصرة ، الفصل الرابع .

والمناهج هو أداة الحكم في الإسلام ينطلق من منطلقات معينة ، وله أهدافه وغاياته التي حددتها له المرجعيات الشرعية ، وله كذلك أدواته وآلياته التي يعتمد عليها في القيام بمهامه ووظائفه من أجل تحقيق أهدافه وغاياته ، ويعمل المنهج الإسلامي في ظل نسق من القيم السياسية يساعده في حركته وتفاعلاته .

ثانياً : دور المنهج الإسلامي :

للمنهج الإسلامي دور محدد في المجتمع المسلم عينته له المرجعيات الشرعية ، وهذا الدور يلتقي دوماً مع أهداف الدولة الإسلامية إلى درجة التطابق ، فيصبح دور المنهج هو أهداف الدولة الإسلامية ، ويتمثل ذلك الدور في الآتي :

❖ تطبيق شرع الله : أول مهام أو أدوار المنهج الإسلامي يتمثل في العمل على تطبيق شرع الله ، وذلك بتحديد الآليات والوسائل التي تتولى القيام بذلك ومراقبة تلك الآليات ومراقبة حركتها ونشاطها ، ومن ثم فالمنهج يمثل المرجعية الحركية الأولى في المجتمع المسلم ، فهو النموذج الأول الذي يصيغ النماذج الفرعية وأدوات الحركة والتنظيمات والإجراءات ويرسم لها حركتها ودورها ويراقب نشاطها ثم يتحولها بالتقويم .

❖ تحقيق مصالح الناس وقضاء حوائجهم : ثاني مهام أو أدوار المنهج الإسلامي يتمثل في تحقيق مصالح الناس وقضاء حوائجهم ، فهو يوفر لهم الأمن ويساعدهم على الحياة ويشبع حاجاتهم الروحية والمادية ، وهذه المهمة تنصرف إلى النواحي والأبعاد المادية الاجتماعية .

❖ إعمار الأرض : تلتقي هذه المهمة مع المهمة السابقة حيث توسعان من مهمة المنهج في النواحي والأبعاد المادية الاجتماعية ، وإعمار الأرض ينصرف إلى الإنماء في كافة المجالات والنواحي ، ويملك الإسلام نموذجاً خاصاً به في الإنماء الاقتصادي .

❖ الدفاع عن الإسلام داخلياً وخارجياً ونشره في بقاع الأرض : كذلك يتولى المنهاج الإسلامي مهمة الدفاع عن الإسلام داخلياً في مواجهة الفتن الداخلية وعوامل عدم الاستقرار والخروج على الإجماع والطاعة ، وخارجياً بالتحدي لمحاولات الاعتداء على الدول الإسلامية فرادى أو جماعات وذلك بكافة السبل السياسية والدبلوماسية والعسكرية. ومن مهام المنهاج كذلك نشر الإسلام والدعوة إليه من خلال وسائل محددة ومبتكرة ، والدعوة إلى الإسلام ليست بالحرب أو العنف أو بإدخال الناس في الإسلام عنوة ، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى والحجة والاكْتفاء ، بالتبليغ وإيصال مهمة الإيمان إلى الله سبحانه وتعالى .

ثالثاً : دور المنهاج كأداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي :

والآن ما هو دور المنهاج كأداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي ؟ يقوم المنهاج بثلاثة مهام أساسية في إطار دوره كأداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي ، ويمكن تناول المهام الثلاثة من خلال الآتي :

❖ تهيئة البيئة لاستقبال الطروحات الإسلامية : تتمثل تهيئة البيئة في تطبيق الشرع ، والأخيرة تعد الوظيفة الأولى والمهمة الأساسية من مهام المنهاج بشكل عام ، ولولا تهيئة البيئة بتطبيق الشرع لما أمكن تطبيق الطروحات الإسلامية التي تعد من مخرجات منهج الطرح الإسلامي ، ومن ثم فالمنهاج الإسلامي يعد أول وأهم الأدوات التي تساعد المفكر الباحث ، فالأخير هو أداة عقلية فكرية ، أما البيئة فهي أداة اجتماعية في حين يمثل المنهاج الإسلامي الأداة النظامية التي تهيئ البيئة وتعدّها بتطبيق شرع الله وإقامة النظام الاجتماعي الإسلامي بكل أنظمتها الفرعية وعلاقاتها التبادلية وتنظيماته وتفاعلاته ذات الخصوصية .

معنى ما تقدم أن أي بلد إسلامي لا يمكن أن يكون عاملاً مساعداً أو أداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي إلا إذا قام على شئونه وتولى أموره المنهاج الإسلامي ، الذي يقوم بدوره بتهيئة وإعداد ذلك البلد ليكون تلك الأداة التي تساعد منهج الطرح الإسلامي وتعد من لزمياته ، وبمنطق المخالفة لا يصلح أي بلد إسلامي لأن يكون أداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي لا يقوم على شئونه ويتولى أمره المنهاج الإسلامي الذي يقوم بدوره بتطبيق الشرع الإسلامي ، وذلك على الرغم من كون البيئة تمثل مجتمعاً أو أقلية مسلمة ، وأفرادها يطبقون الشرع الإسلامي ويقدمون الروابط العقيدية التي تربط بينهم على ما سواها ، وهذا يقضي إلى القول بأن المنهاج الإسلامي ضرورة واجبة لجعل البيئة مهيأة لاستقبال الطروحات الإسلامية .

❖ تطبيق الطروحات الإسلامية مخرجات منهج الطرح الإسلامي : أما ثاني مهام المنهاج الإسلامي بوصفه أداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي فتتمثل في كون المنهاج هو المفوض والمنوط به شرعاً واجتماعياً تطبيق الطروحات والآراء والرؤى التي تمثل مخرجات المنهج ، والتطبيق يعني نقلها من طور الفكر والنظرية إلى طور الحركة والفعل والواقع أي إلى نظم وتنظيمات وإجراءات وسلوكيات ، ثم تفعيل تلك الأشكال الحركية والنماذج العملية ، ثم مراقبة الالتزام بها والبحث في توفير سبل ذلك الالتزام ، وأخيراً القيام بعملية مراجعة دائمة لتلك الطروحات وتقويمها وتصحيح مسارها وتنقيتها من أي خلل أو انحراف يصيبها .

❖ مساعدة المفكر الباحث : آخر مهمات المنهاج الإسلامي بوصفه أداة من أدوات منهج الطرح الإسلامي هو أنه يساعد المفكر الباحث على القيام بمهمته ، والمساعدة تبدأ من المهمتين السابقتين ثم تتشعب لتأخذ عدة مسارات على النحو التالي :

- توفير جو الاجتهاد وتشجيع حرية التعبير عن الرأي وبناء الثقة بالنفس لدى العلماء حتى تتاح لهم فرصة العطاء والإسهام ومتابعة المتغيرات المتلاحقة والمستجدات الكثيفة بالطرح والمعالجة والتناول والرأي الذي يعبر عن المنطق الثقافي والذات الحضارية لأبناء الإسلام ، فهذه الطروحات هي المنطق الثقافي الذي يعكس الثقافة الإسلامية .

- توقير العلماء وإجلالهم وتقدير اجتهاداتهم وجهودهم وإنزالهم منازلهم ، فلا خير في أمة لا توقر علماءها .

- حمل المجتمع على أن يحذو حذو المنهاج في احترام العلماء وتقدير جهودهم والالتزام بما يصدر عنهم من طروحات وآراء .

- إسناد المسؤولية إلى العلماء حيث أنهم أهل لها ، ويكون دأب المنهاج العمل على أن يوسد الأمر إلى أهله ، ففي ذلك فلاح البلاد والعباد ، والعلماء هم أولى الناس بحمل الأمانة .

- استشارة العلماء في كل ما يهم الأمة ، وعدم الإنفراد بالرأي أو الاعتماد على غير المؤهلين .

المبحث الرابع

أدوات التحليل الحرفية

فيما تقدم تناولنا أدوات وآليات منهج الطرح الإسلامي ذات الطبيعة الفكرية العقلية ممثلة في المفكر الباحث ، وذات الطبيعة الاجتماعية مجسدة في البيئة ، وذات الطبيعة النظامية التنظيمية معينة في المنهج الإسلامي ، وأخيراً نتناول أدوات التحليل ذات الطبيعة الحرفية ، وهي عبارة عن أدوات ترتبط بشكل مباشر بكل مرجعية أو مصدر من مرجعيات أو مصادر منهج الطرح الإسلامي ، ويمكننا تفصيل ما تقدم من إجمال فيما يلي :

أولاً : المقصود بأدوات التحليل الحرفية :

نقصد بأدوات التحليل الحرفية طرق وأساليب البحث والتنقيب والاستدلال والقياس والاستنباط وغيرها التي يستعين بها المفكر الباحث وهو بصدد إعداد وصياغة الطروحات والآراء ، وهناك من هذه الأساليب والطرق ما يتسم بالعمومية أي بالصلاحية للتعامل مع كافة المرجعيات المصادر الخاصة بمنهج الطرح ، وهناك من هذه الأساليب والطرق ما يخص مرجعية أو مصدر دون غيره ، وقد يكون هناك اختلاف أو تباين بين الطرق والأساليب التي تلزم للمرجعيات الشرعية والأخرى التي تلزم للظواهر الحياتية والمتغيرات والمستجدات المرتبطة بها .

ثانياً : أدوات البحث والتحليل الخاصة بالقرآن الكريم :

ما من شك في أن القرآن الكريم يمثل أهم وأسمى المرجعيات الإسلامية على الإطلاق التي يعتمد عليها كمصادر لمنهج الطرح الإسلامي ، يستقي منها طروحاته ، ويستنبط منها الأصول والقواعد التي يرتكن عليها في بناء وصياغة تلك الطروحات ، وعليه ينبغي الإشارة

إلى أهم أدوات البحث والتحليل الخاصة بالقرآن الكريم والتي يستخدمها المفكر الباحث في منهجه المشار إليه :

❖ اصطفااء التفاسير المناسبة : تعددت التفاسير التي أوضحت معاني ألفاظ القرآن الكريم وتابعت دلالات الآيات وأسباب نزولها ومناسباتها الخاصة وأحكامها العامة ، وجديد ما أثبتته العلم من الحقائق التي وردت به ، ويعتبر اصطفااء التفاسير المناسبة من أهم أدوات البحث والتحليل الخاصة باستنباط الأصول والقواعد من الذكر الحكيم والتفاسير المناسبة هي تلك التي يتوافر فيها ما يلي :

- تشير بدقة إلى المعاني الموضوعية لألفاظ ومفردات القرآن الكريم ، أي كما وردت في الآيات ووفق مقاصدها الحقيقية الدقيقة .

- تتضمن أسباب النزول حسب أشهر الروايات وأكثرها دقة وواقعية وموضوعية وقبول لدى جمهور المفسرين وأهل العلم ، والبعد عن غريب الروايات ، والتي مصدرها الإسرائيلييات .

- تتضمن الإشارة إلى المناسبات الخاصة التي حملت أحكاماً عامة ، وكيف امتدت تلك الأحكام إلى الوقت الراهن ، وكيف يمكن القياس على تلك المناسبات .

❖ أسباب نزول الآيات : التدقيق في أسباب نزول الآيات من أهم أدوات البحث والتحليل الخاصة بالقرآن الكريم ، وهنا ينبغي الوقوف على أشهر الروايات وأكثرها صدقية وثقة ، وكذا من حيث الموضوعية والقبول المنطقي .

❖ متابعة الدراسات التي توصلت إلى دلالات ومضامين جديدة لبعض آيات ومعاني القرآن الكريم ، ومعلوم أن القرآن العظيم يحمل من الدلالات والمعاني والحقائق والأسرار ما لم يتم التوصل إليه حتى الآن ، والتي يتم التوصل إليها تبعاً مع البحث الجاد والعلم

الدقيق ، ومتابعة تلك الدراسات يمثل أداة مهمة من أدوات البحث والتحليل الخاصة بهذا الكتاب المعجز .

❖ خصوصية الوقائع وعمومية الأحكام : من الأدوات ذات الأهمية في القياس الأداة الخاصة بالوقائع التي تحل أحكاماً عامة ، فهذه الأداة تمثل رابطة مهمة تربط بين كثير من وقائع العصر وتطوراتها ووقائع نزلت فيها آيات محكمات ، وعليه فأحكام الوقائع الخاصة تسري على التطورات والمتغيرات والمستجدات المعاصرة .

❖ تفسير الآيات بالآيات : كثير من آيات الذكر الحكيم يفسر بعضها بعضاً ، وهذا يُجذب الفكر الباحث الاعتماد على التفسيرات الاجتهادية أو المأخوذة من روايات منقولة ، والاعتماد على هذه الأداة بوصفها أداة صادقة ودقيقة يجعل استنباطات الفكر الباحث عالية الصدقية رفيعة الموثوقية لأنها نابعة من القرآن نفسه .

❖ الآيات التي يمكن تجميعها في إطار واحد : ترد آيات في مواضع متفرقة في الذكر الحكيم وهي تقدم ملامح ومشاهد من وقائع معينة ، وباستعراض تلك الآيات وترتيبها في أماكنها يكتمل الشكل العام النهائي للواقعة أو الحدث ، وذلك يفيد في فهم كثير من الآيات عندما يتم التعامل معها كملح أو مشهد من تلك الواقعة .

❖ تفسير الآيات بالأحاديث النبوية الشريفة : كذلك من أهم ما يمكن الاعتماد عليه في تفسير آيات الكتاب العزيز هو الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة ، فهي مصدر تبدو أهميته في صدقته المطلقة وسهولته ويسره ، وعليه فهو أداة يمكن أن يستخدمها الفكر الباحث بثقة واطمئنان في تفسير آيات القرآن والتعامل مع دلالاتها ومعانيها ، وتسهيل عملية الاستنباط الخاصة بالأصول والقواعد التي تركز عليها الطروحات والآراء .

❖ فقه أصوليات وقواعد التفسير والتحليل : لتفسير وتحليل آيات الذكر الحكيم
أصوليات وقواعد حتى يتم المعنى ويكتمل الغرض ، ومن ذلك :

- تفسير الآيات في سياق ترتيبها الواردة به في الكتاب العزيز ، ولهذا الأمر أهميته في عدم
انتزاع الآية من سياقها وتفسيرها مجردة من ذلك السياق ، ومن ثم يأمن الفكر الباحث
الاختلاط أو اللبس أو تداخل المعاني والدلالات وتباين المقاصد والغايات .

- تفسير الآيات كاملة وتجنب الاكتفاء بتفسير صدرها أو عجزها أو عبارات منها ، لأن
ذلك يؤدي إلى اختلال المعاني والدلالات والمقاصد ، ويؤدي كذلك إلى تجزئة الآيات
وتفسير تلك الأجزاء بشكل متفرق ، مما يفسد مهمة النص ويذهب بالفائدة المرجوة ، وقد
يأتي بمعنى مختلف ودلالة عكسية .

ثالثاً : أدوات البحث والتحليل في السنة المطهرة :

المصدر الثاني الذي يعتمد عليه منهج الطرح الإسلامي في استقاء واستنباط الأصول والقواعد
بعد كتاب الله العزيز هو السنة النبوية المطهرة ، وقد سبق لنا تعريف السنة النبوية
المطهرة والتأكيد على قبحتها التشريعية ، وعليه فالتعامل مع هذا المصدر العظيم والمرجع
المهمة يحتاج إلى أدوات بحثية ووسائل علمية تتفق مع قبحتها السامية ومنزلتها الرفيعة ،
ويمكن الإشارة إلى بعض تلك الأدوات في الآتي :

❖ العلاقة بالقرآن الكريم : أهم الأدوات التي يستعان بها عند البحث في السنة المطهرة
هو استيعاب وفهم علاقة السنة بالقرآن الكريم ، وقد سبق لنا وتناولنا جوانب هذه العلاقة
في : التفسير لما خفي ، والتفصيل لما أجمل ، والإكمال لما ترك عن قصد وغاية ، وهذه
الجوانب الثلاثة توضح منزلة السنة وتنبه إلى طبيعة الموضوعات التي يتم فيها تبادل

الأدوار بين القرآن والسنة ، وعلى المفكر الباحث أن يستوعب هذه الأبعاد أو الجوانب الثلاثة ، ويعلم صلتها بالوحدة الموضوعية للأحاديث الشريفة .

❖ الدور التشريعي : كذلك من الأدوات المتعلقة بالتعامل مع السنة النبوية الشريفة فقه دورها التشريعي ، وعلى هذا الأساس تقسم الأحاديث الشريفة إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول : الأحاديث التي صدرت عن وحي من الله جل وعلا ، وهي الأعلى مرتبة في التشريع ، والقسم الثاني : الأحاديث التي صدرت عن شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دون وحي ، والقسم الثالث : الأفعال والسلوكيات والأقوال الناتجة عن التشاور مع الصحابة وعموم المسلمين .

❖ اختيار الصحاح : أيضاً من الأدوات المهمة في التعامل مع السنة المطهرة اختيار الصحاح ، وأشهرها البخاري ومسلم ، وكذا الحذر من نقص التحقيقات التي أعدها المحققون أو الشروحات التي قدموها لتوضيح وتفسير الصحاح .

رابعاً : أدوات البحث والتحليل في نموذج دولة الرسول الكريم ودولة الخلفاء الراشدين :

النموذج الوحيد الذي يعتمد عليه منهج الطرح الإسلامي كمصدر من مصادره هو نموذج دولة الرسول الكريم ودولة خلفائه الراشدين ، نظراً لما يتسم به هذا النموذج من خصائص تجعله الأول والأفضل الذي رسم ملامح أول دولة في الإسلام ، فما هي الأدوات التي يستخدمها المنهج للبحث في ذلك النموذج ؟ :

❖ إن نموذج الحركة في الدولتين يرسم الخطوط العريضة ولا يضع قوالب جامدة ، وينحو نحو المثالية فيما يتعلق بأولياء الأمور والهيكل والبُنَى والنظم والسلوكيات ،

وهذه المثالية تجعل من النموذج مادة للاستئناس والاسترشاد فيما يتعلق بالخطوط العريضة والملامح الرئيسية والأسس والأصول .

فسلوكات ولي الأمر وتصرفاته سواء في عهد النبوة الزاهر أو في عهد الخلافة الراشدة يقدم نموذج الحاكم المسلم وكيف يمارس مهامه وكيف تكون علاقاته مع أفراد الجماعة الإسلامية ، وكيف يقدمون له يد العون ويلتفون حوله في ولاء تام وتأييد مطلق .

❖ النموذج يفيد في القياس فيما يتعلق بالشكل العام للبنى والهيكل السياسية والإدارية وكذا في التنظيمات ثم في الإجراءات ، وكذلك في السلوكات والممارسات التي يسلكها الفرد تجاه أجهزة الدولة وتنظيماتها .

❖ تبدو عقلانية النموذج ورشده في كونه لا يغفل عوامل الزمان والمكان والأبعاد المتغيرة في الإنسان ، فأشار إلى أهميتها جميعاً وأكد على ضرورة أخذها في الحسبان ، وعلى اعتبارها وسيلة لمشاركة أبناء الأمة من الأجيال المتعاقبة في احتواء المتغيرات واستيعاب المستجدات وملء الفراغ التشريعي بتشريع ما لا نص فيه .

ومن ثم فإن النموذج يحتاج إلى تحليل دقيق وتفصيل عميق يشمل البنى والهيكل والتنظيمات والإجراءات والسلوكات والممارسات ، وذلك من خلال قراءة جديدة ومراجعة متأنية لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وإدارته للدولة وسياسته لها ، ثم متابعة ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ، وعليه فالنموذج يقدم الخطوط العريضة والأصول والقواعد للدولة الإسلامية في شكلها الواقعي التطبيقي .

خامساً : أدوات تحليل الظواهر الاجتماعية والطبيعية والمتغيرات والمستجدات :

لا يقتصر الأمر على البحث في أدوات التعامل مع القرآن والسنة ونموذج دولة الرسول والخلفاء بوصفها مصادر منهج الطرح الإسلامي ومرجعياته الأساسية ، ولكنه ينصرف

كذلك إلى تحليل الظواهر الاجتماعية والطبيعية والمتغيرات والمستجدات بوصفها متغيرات
ومستجدات تحتاج إلى احتواء واستيعاب ، وينتج عنها إشكاليات تفرض ذلك الاحتواء
والاستيعاب .

وتحتاج الظواهر بشقيها الاجتماعي والطبيعي وكذلك المتغيرات والمستجدات إلى مناهج
خاصة في التعامل معها وتحليلها ، وهذه المناهج تختلف من ظاهرة إلى أخرى ومن متغير
أو مستجد إلى آخر ، وتحتاج المناهج ذاتها إلى تطوير مستمر ومتابعة دائمة للإلمام
بتقنياتها .